journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024

Volume: 38 N°: 02 Year: 2024 pages: 79-91 Date of Publication : 11-12-2024

العدول عن الخفة إلى الثقل عند العرب
الأسباب والمظاهر
The shift from lightness to heaviness among Arabs
Causes and anifestations

الدكتور . عبد الجليل بوخيرة
abdeldjalil.boukhaira@univ-emir.dz
جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2024/03/08 تاريخ القبول: 2024/12/09

الملخـــص:

الأصل في المتكلم باللغة العربية –وغيرها من اللغات– أنه يميل إلى الخفة في كلامه طلباً للسهولة، ويترك الأصوات الثقيلة، ويستغني عن الكلمات التي لا يحتاج إليها. ولكن الواقع اللغوي قد يخالف هذه القاعدة في كثير من الأحيان، فَيَعْدِلُ المتكلم في كلامه عن الأسلوب السهل إلى الأسلوب الصعب، وهذا البحث تناول تلك الدوافع التي تجعل المتكلم يرجح الثقل في كلامه على الخفة، مستعينا بالمنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل من أجل الإجابة عن الإشكالية التالية: ما الأسباب التي تجعل العربي يختار المشقة النطقية ويترك الخفيف من القول؟

فقد تتبع البحث نماذج من الكلام العربي الفصيح، ثم استخرج منه أسباب ميل المتكلم باللغة العربية إلى الثقل، وقد توصل البحث إلى نتيجة، وهي أن العدول عن الخفة إلى الثقل قد يكون لأسباب صوتية، وقد يكون لأسباب دلالية.

الكلمات المفتاحية: الخفة، الثقل، أسباب الميل إلى الثقل، الصوت، الدلالة

ABSTRACT:

The basic principle for someone who speaks Arabic - and other languages - is that he tends to be light in his speech in order to find ease. He leaves out heavy sounds, and dispenses with words that he does not need. However, the linguistic reality may violate this rule in many cases, so the speaker changes his speech from the easy style to the difficult style, and this research dealt with those motives that make the speaker prefer weight in his words to lightness, using the descriptive approach based on induction and analysis in order

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

to answer the problem. The following: What are the reasons that make an Arab choose difficult pronunciation and leave light speech ?

The research traced examples of eloquent Arabic speech, then extracted from it the reasons for the Arabic speaker's tendency toward heaviness. The research reached a conclusion, which is that the shift from lightness to heaviness may be for phonetic reasons, or it may be for semantic reasons.

KEYWORDS : lightness, heaviness, reasons for the tendency to heaviness, sound, connotation.

المقدمـــة:

كثير من ظواهر اللغة تسترعي انتباه الباحثين فيسعون من أجل الكشف عن قوانينها، ومن تلك الظواهر ميل المتكلم العربي إلى الخفة الصوتية في كلامه، وقد اشتغلتُ من قبل في رسالة الدكتوراه ببحث ملامح الخفة في الدرس اللغوي العربي من خلال تعليل سيبويه لكثير من القواعد اللغوية بالخفة، ولكن في ثنايا البحث تبيّن أن اللغة قد تميل أحيانا إلى الثقل والمشقة في النطق، فيترك العربي اللفظ الأسهل ويتكلم باللفظ الأشق والأصعب، وهو عكس ما جُبل عليه الإنسان من حب سلوك طريق التيسير في جميع شؤونه اللغوية وغير اللغوية. وعليه فإن سؤال البحث يتبلور في الإشكالية التالية:

لماذا تميل اللغة العربية – أحيانا- إلى العسر والمشقة؟ وما الدوافع والأسباب التي تجعل العربي يختار المشقة في النطق ويترك الخفيف من القول؟

هناك فرضيتان للإشكالية:

أولاهما: أن عدول العرب إلى الثقل أمر اعتباطي ليس له مبرّر.

ثانيهما: أن عدول العرب إلى الثقل له مبررات تسوغه، وأسباب تستدعيه.

ومن أجل الإجابة عن الإشكالية استعنت بالمنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، من خلال تتبع الظاهرة في الكتب النحوية ككتاب سيبويه، والخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني، وشرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي، والضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للألوسي.

وستتضمن خطة البحث النقطتين التاليتين:

- مفهوم الثقل:
- دوافع العرب لاختيار المشقة النطقية

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

وسيكون المنهج المتبع هو المنهج بالمنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل بتتبع جزئيات الموضوع لاستخلاص قواعده العامة.

أولا: مفهوم الثقل:

1– المعنى اللغوي:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395ه): «(ثقل) الثاء والقاف واللام أصلٌ واحدٌ يتفرَّع منه كلماتٌ متقاربة، وهو ضِدّ الخِفّة...» (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د ت، صفحة 382). فابن فارس عرّف الثقل بذكر ضده وهو الخفة، والأشياء تتميز بذكر أضدادها. وهو ما ذكره ابن منظور حين قال: «الثِّقَل: نقيض الخِفَّة» (ابن منظور، د ت، 85/11)، وأما المعجم الوسيط فقد ركّز على الثقل المجازي المعنوي، فقد ورد فيه: «(ثَقُلَ) ثِقَلا وثَقَالة: رجح وزنُه وثَقُلَ الأمرُ: شقّ. وثَقُلَ الرجلُ: رَزَن وثَبَتَ. وثَقُلَ المريضُ: اشتدَّ مرضُه. ويقال: ثقُلت يدُه، وثقل سمعُه، وثقل لسانُه: ضعف. وثقُل عن حاجتي: تباطأ. وثقُل الشيءُ أو الأمرُ على النفس: كرهَتْه وثَقُلَت الحاملُ: استبان حملُها وثَقُلَ النباتُ تروَّت عيدانُه. فهو ثقيل وثَقَالٌ (ج) ثِقال وثُقُل» (مجمع اللغة العربية، 1425هـ/2004م، صفحة 98)

فالثِّقَل في المعاجم يطلق على نقيض الخفة، وهو الثقل الحسي، ويطلق مجازا على الثقل المعنوي، والثقل اللغوي هو ثقل حسيّ يحسه المتكلم.

2– المعنى الاصطلاحي:

الخفة ضدّ الثقل، وتعريف أي منهما– سواء في اللغة أو الاصطلاح– يكون بمقارنته بالآخر، ولذلك اعتبر أحمد عفيفي «أن الثقل والخفة عنصران كوجهي العملة الواحدة لا غناء لأحدهما عن الآخر؛ ولهذا فقياس كل منهما لا بد أن يكون في مقابل الآخر ووجوده» (عفيفي، 1417هـ/1996م، صفحة 29).

والنحاة علّلوا بالتخفيف والاستثقال كثيرا من الظواهر الصوتية والنحوية والتركيبية، ولا يكاد يخلو باب من التعليل بهاتين العلتين. وأَكْثَرَ النحاة من التعليل بهما حتى اعتبر ابن جني التخفيف والتثقيل علتين للقاعدة النحوية إن لم توجد لها علة فقال: «فإن وجدتَ عذراً مقطوعاً به صرت إليه واعتمدته. وإن تعذر ذلك، جنحت إلى طريق الاستخفاف والاستثقال؛ فإنك لا تعدَم هناك مذهباً تسلكه ومَأمًّا تتورّده» (ابن جني، د ت، ج1، ص77، 78).

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

وأما تعريف الثقل اصطلاحا، فقد جاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية «الثِّقَل: وصف في الكلمة يستدعي الاتجاه بها إلى التخفيف» (اللبدي، 1405هـ/1985م، صفحة 36). فالثقل وصف لأصوات الكلمة، يستدعي غالبا الميل إلى الخفة، ولكن لكل قاعدة استثناء، فقد يجنح المتكلم إلى الثقل، وهذا ما سنتناول أسبابه في العنصر الموالي.

ثانيا: دوافع العرب لاختيار المشقة النطقية:

المتكلم باللغة عموما وبالعربية خصوصا يتلمّس أيسر الطّرق عند التعبير باللغة عن أفكاره، ولا يختار اللفظ الصّعب إلا لسبب وجيه يجعله يفضله على اللفظ الخفيف، قال إبراهيم أنيس: « وليس معنى هذا أن هذه النظرية [نظرية السهولة] تنطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة. فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتي كان عكسيا، أي من السهل إلى الصعب –كما وجد فعلا في بعض الحالات– فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور، وهو لا شك سيجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور» (أنيس، د ت، صفحة 217).

ونحن سنبحث عن تلك الأسباب ودوافع تفضيل المتكلم للصوت الثقيل على الخفيف، وهي ترجع إلى سببين: أسباب صوتية وأسباب دلالية:

1– الأسباب الصوتية:

إذْ ترجع أسباب الميل إلى الثقل إلى أصوات الكلمة، وهذه الأسباب هي:

1–1– المحافظة على القاعدة الصوتية:

السبب في تفضيل التثقيل هو المحافظة على القاعدة الصوتية من الخرق، مثل قاعدة منع التقاء الساكنين، يُتحمّل الثقل في اللفظ حفاظا عليها، ومن أمثلة ذلك قول سيبويه (ت180ه): «وأما ردَّد ويُرَدِّدُ فلم يُدغموه؛ لأنه لا يجوز أن يَسكن حرفان فيَلتقيا، و لم يكونوا ليحركوا العين الأولى لأنَّهم لو فعلوا ذلك لم ينجوا من أن يرفعوا ألسنتهم مرتين، فلما كان ذلك لا يُنجيهم أجروه على الأصل و لم يجز غيره» (سيبويه، 2012، صفحة 535/3).

ومعنى كلام سيبويه أن العرب حين نطقوا بكلمتي (ردّد) و(يُردّد) المتكونة من ثلاث دالات، لم يُدغموا الدال الثانية في الدال الثالثة؛ لأن ذلك يتطلب سكون الدال الثانية وهي مسبوقة بدال ساكنة، فعندئذ تجتمع دالان ساكنتان، والقوانين الصوتية في العربية تمنع هذا الأمر.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

1–2– طلب الخفة:

العبرة في الخفة والثقل ليست بصفات الحرف، وإنما بتجاوره مع أحرف أخرى، فقد يكون الحرف خفيفا، ولكن مجاورته لأحرف أخرى تجعله ثقيلا، ومن صور ذلك ما يلي:

أ– تماثل الأصوات: وضع ابن جني (ت392هـ) في كتابه الخصائص بابا تحدث فيه عن (العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف)، قال فيه: « اعلم أن هذا موضع يُدفع ظاهره إلى أن يعرف غوره وحقيقته. وذلك أنه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان، فيخِفَّا على اللسان. وذلك نحو الحيوان؛ ألا ترى أنه عند الجماعة – إلا أبا عثمان – مِن مضاعف الياء، وأن أصله حيَيَان، فلما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو. وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء، لكنه لّما اختلف الحرفان ساغ ذلك. وإذا كان اتفاق الحروف الصِحاح القويَّة الناهضة يكره عندهم ...كان اجتماع حرفي العِلة مثلين أثقل عليهم» (ابن جني، د ت، ج3، ص18).

معنى كلام ابن جني أن الحرفين المتماثلين يثقلان على اللسان لتكريرهما، فيبدل أحدهما حرفا أثقل منه؛ ليختلف الحرفان فيخفا في النطق، ويشتد الثقل إن كان الحرفان المتماثلان حرفي علة، ومثّل لذلك بكلمة (حيوان) التي أصلها (حيَيَان)، فقلبت الياء واوا مع أن الواو أشد ثقلا.

ومن حالات قلب الواو همزة– والهمزة أثقل من الواو– ما ذكره سيبويه أنه تقلب الواو الثانية في (عَوَاوِر) من (عَوِرْتُ) همزةً، حيث اجتمع فيها واوان بينهما ألف (سيبويه، 2012، صفحة 357/4)، تطبيقا للقاعدة الصرفية التي مفادها: «أن ألف الجمع متى وقعت بين الواوين وكانت الواو الثانية منهما قبل الطرف وليس بينه وبين الطرف حرف آخر وجب قلب الواو الثانية همزة» (السيرافي، 1429هـ/2008م، صفحة 261/5).

وإنما قلبت الواو الثانية من (عَوَاوِر) همزةً فرارا من الثقل اللفظي، قال سيبويه: « وفيها من الاستثقال نحو ما في شَواوٍ، لالتقاء الواوين وليس بينهما حاجزٌ حصينٌ، فصارت بمنزلة الواوين يلتقيَان» (سيبويه، 2012، صفحة 357/4).

والمقصود بالحاجز غير الحصين هو الألف؛ لأنه حرف صائت معتل. وثقل التقاء الواوين هو بسبب تماثلهما، فأبدل أحدهما حرفا أثقل من الواو وهو الهمزة طلبا للتخفيف.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

ويسمى هذا الإبدال عند علماء الأصوات المحدثين بالمخالفة (Dissimilation) والتي تقع بين الأصوات المتماثلة، من أجل التخفيف من صعوبة النطق بحرفين متماثلين، والمخالفة ، «وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين.» (أنيس، د ت، صفحة 194).

ب– تقارب الأصوات مخرجا: قد يكون اللجوء إلى الثقل بسبب تقارب الحرفين المتجاورين في المخرج، فيلجأ الناطق إلى حرف ثقيل ليخالف بين الحرفين، قال ابن جني: «ومن ذلك قولهم عَمْبَر؛ أبدلوا النون ميما في اللفظ وإن كانت الميم أثقل من النون، فخففت الكلمة، ولو قيل عنبر بتصحيح النون لكان أثقل» (ابن جني، د ت، صفحة 20/3). فالمتكلم تحمل ثقل الميم ليتخلّص من ثقل تجاور حرفين متقاربين، وهما النون والباء.

1–3– المناسبة الصوتية:

1–3–1– تعريف المناسبة الصوتية: يقصد العلماء بالمناسبة الصوتية: «تقريب الصوت من الصوت دون تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع، من أجل تحقيق التوافق والانسجام» (بوصبع، 2022، صفحة 114).ففي المناسبة الصوتية «تتعاون الأعضاء النطقية في خلق نوع من الانسجام الحركي في أثناء العملية النطقية، وقبله انسجام في حروف الكلمة والجملة، فلا يكون هناك صوت شاذ عن صوت آخر، ولا حركة مناقضة لحركة أخرى، فيؤدي ذلك إلى نوع من التوازن والتوافق» (بوصبع، 2022، صفحة 114).

وفي المناسبة الصوتية ينقلب صوت سهل إلى صوت صعب، حتى يتناسب مع صوت آخر يجاوره.

1–3–2– نماذج من المناسبة الصوتية: من نماذج المناسبة الصوتية:

8 أ – (فَعِلَ) الحلقي العين سواء كان فعلا أو اسما، كشَهِدَ، وفَخِذٍ، فإنه يجوز إتباع فائه لعينه في الكسر عند بني تميم (الاستراباذي، 1402هـ/1982م، صفحة 39/1).

ويرى (نقرة كار) أنّ السبب في العدول من الأخف –وهو الفتحة– إلى الأثقل– وهو الكسرة– هو ما في ذلك من التخفيف، وهو الانتقال من كسرة إلى كسرة، وبذلك يعمل اللسان في اتجاه واحد (عفيفي، 1417هـ/1996م، صفحة 13).

ب– تبدل تاء الافتعال طاءً إن سبقت بحروف الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء؛ لتحقيق المناسبة الصوتية بين الحروف؛ لينتقل اللسان من حرف مطبق إلى مثله. قال السيرافي: «فأما قلبها طاء مع حروف الإطباق؛ فلما بين الطاء وبين هذه الحروف من الإطباق فطلبوا حرفا من مخرج التاء يوافقها في الإطباق وهي الطاء، وقد علم

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

أنه لا يقع لبس في ذلك...» (السيرافي، 1429هـ/2008م، صفحة 343/5)، مثل: اضْطَرَبَ، مُظْطَعِنٌ، وأصلها: اضْتَرَبَ، مُظْتَعِنٌ.

ج–تبدل السين صادا إذا اقترنت بحروف معينة، مثل:

– القاف: نحو: سُقْتُ وسَبَقْتُ، تُقلب السين صادا فتصير: صُقْتُ وصَبَقْتُ. فالقاف أثّرت في السين قبلها في "سُقْتُ" و"سَبَقْتُ" فقلبتها صادا رغم وجود حاجز بينهما في "سَبَقْتُ" وهو الباء، وذلك أن القاف حرف مستعل ولا يتناسب معه إلا حرف مثله.

– الغين والخاء: مثل: إبدال سين سالغ وسَلَخَ، فتصيران: صالِغ وصَلَخَ، وسبب الإبدال هو تأثّر السين بالغين في "سالِغ"، وتأثّر السين بالخاء في "سَلَخَ".

– الطاء: تُبدل السين صادا في "ساطِعٍ" لتصير "صَاطِعٌ". فالسين أبدلت صادا رغبة في مماثلة الطاء المطبقة المستعلية؛ ليتحقق التناسب الصوتي (سيبويه، 2012، الصفحات 4/479–480).

1–4– صعوبة الحروف الرخوة:

الحرف الرخو فيه صعوبة بسبب انسياب الهواء معه، بخلاف الحرف الشديد الذي ينحبس معه الهواء، فإن اللسان ينطقه بسهولة، وقد مثل إبراهيم أنيس لذلك بمثال محسوس، وهو أن الشخص الذي يجري بأقصى سرعته وقد قابله حائط أمامه، فمن الأسهل عليه أن يصطدم بالحائط من أن يحاول التوقف قبل الحائط بمسافة قصيرة (أنيس، د ت، صفحة 219).

وهذا المبدأ يمكن أن نفسر به اللجوء إلى إبدال بعض الأحرف همزة، مع أنّ الهمزة من الحروف الهجائية التي يصعب النطق بها؛ لبُعد مخرجها في أقصى الفم، فتخرُج بجهد وعناء، فهي« نَبْرَةٌ في الصَّدْر تُخرَجُ باجتهادٍ» (سيبويه، 2012، صفحة 3/548).

فالحروف التي تبدل همزة خمسة وهي: الألف والياء والواو والهاء والعين، مثال إبدال الألف همزة قراءة أيوب السِّختياني: (ولا الضَّأَلِّينَ)، ومثال إبدال الواو همزة: أُجُوه، وأصلها: وُجُوه، ومثال إبدال الياء همزة: عِلْباي وحِرْباي أبدلت ياؤها همزة، فصارتْ عِلْباء وحِرْباء، ومثال إبدال الهاء همزة ماء التي أصلها مَوَهٌ (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1413هـ/1993م، الصفحات 72–107). وتلك الحروف الخمسة كلها رخوة، أبدلت همزة صعبة في النطق للتخلص من صعوبة أشد وهي الهمس.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

وإذا كانت الأصوات الرخوة يقع فيها تسريب الهواء، فإن حروف العلة يقوى فيها هذا الأمر، حيث «أصوات العلة تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك...» (باي، 1419هـ/1998م، صفحة 78). لصوتها؛ لأنها رخوة، قال سيبويه: «وهذه الحروفُ غيرُ مهموسات، وهي حروف لِينٍ ومدٍّ، ومَخارِجُها متّسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسَعَ مَخارِج منها؛ ولا أَمَدَّ للصَّوتِ» (سيبويه، 2012، صفحة 176/4).

1–5– بيان الصوت المهموس:

مع أن الحركة أصعب من السكون، ولكنّ العرب قد يحركون الحرف لبيان الحرف المهموس الذي بعده، قال سيبويه «وذلك قولك:ضَرَبَتُهُ، واضْرِبُهْ، وقَدُهْ، ومِنُهْ، وعَنُهْ. سمعنا ذلك من العرب، أَلقَوا عليه حركة الهاء حيث حرَّكوا لتبْيانها. قال الشاعر، وهو زيادٌ الأعجمُ:

عجبتُ والدهر كثيرٌ عَجَبُهْ من عَنَزيٍّ سبَّني لم أضْرِبُهْ

وقال أبو النجم: فَقرِّبَنْ هذا وهذا أزْحِلُهْ» (سيبويه، 2012، الصفحات 179/4–180).

ومعنى كلام سيبويه أن بعض العرب، إذا كانت الكلمة تنتهي بهاء الغائب، وقبلها حرف ساكن، فإنهم –عند الوقف –ينقلون ضمتها إلى الحرف الساكن قبلها. وذلك من أجل إظهار الهاء التي هي حرف مهموس. «لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها» (سيبويه، 2012، الصفحات 179/4–180).

ويُحرّك الحرف الذي يسبق الحرف الأخير بالكسر لبيان الهاء المهموسة، قال سيبويه: «وسمعنا بعض بني تميم من بني عَدِيٍّ يقولون: قد ضَرَبَتِهْ وأَخَذَتِهْ، كسروا حيث أرادوا أن يحرّكوها لبيان الذي بعدها، لا لإعراب يُحْدثه شيءٌ قبلها، كما حرَّكوا بالكَسر، إذا وقع بعدها ساكنٌ يَسكن في الوصل». وتحريك الحرف الذي يسبق الحرف الأخير يكون في الوقف، وأما في الوصل فلا يكون إلا السكون، لأن الهاء تصير متحركة بينة ظاهرة بعدها واو الصلة (سيبويه، 2012، صفحة 180/4).

وسبب تحريك ما قبل الهاء في الوقف إذا كان ساكنا، أن الوقف سبب لسكون الآخر، وما قبله ساكن، فيجتمع ساكنان، والهاء فيها خفاء لا تبين إذا كانت ساكنة وقبلها حرف ساكن، فحركوا ما قبل الهاء لتبين الهاء ولا تخفى (السيرافي، 1429هـ/2008م، الصفحات 52/5–53).

1–6– الضرورة الشعرية:

تؤدي ضرورةُ الوزن بالشاعر إلى أن يثقّل كلامه، ومن ذلك ما يلي:

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

أ–**تفكيك الإدغام**: قد يلجأ الشاعر إلى فكّ الإدغام لضرورة الشعر، مع أن الإدغام أخف من التفكيك، كقول الشاعر: قَعْنَبُ بن أُم صاحب: مهلاً أعاذِلَ قد جَرَّبْتِ من خُلُقي ... أَنّي أجُودُ لأَقوامٍ وإن ضَنِنُوا

وقال الشاعر: تَشْكُو الوَجَى من أظْلَلٍ وأظْلَلِ.

والشاهد هو: والشاهد فك الإدغام في (ضَنِنُوا) وفي (أظْلَلٍ)، والأصل فيها أن تكون مدغمة (ضَنُّوا، أظّلٍّ).

ب–زيادة (ما): ف(ما) تزاد في مواضع مخصوصة، وقد تزاد في غير تلك المواضع للضرورة الشعرية، كقول الراجز: وما عليكَ أنْ تقولَ كلَّمَا *** سَبحتَ أَوْ صَلَّيْتَ يا اللَّهمَّ مَا

ج– إشباع الحركة حتى يتولد منها حرف: فيتولد من الضمة واو، ومن الفتحة ألف، ومن الكسرة ياء.

مثال تولد الضمة قول الشاعر: اللَهُ يَعلَمُ أَنّا في تَلَفُّتِنا *** يَومَ الفِراقِ إِلى أَحبابِنا صُوَرُ

وَأَنَّني حَوثُما يَشري الهَوى بَصَري*** مِن حَيثُما سَلَكوا أَدنوا فَأَنظُورُ

فالواو في (أنظُور) هي إشباع للضمة، وأصلها (أنظر)

ومثال تولد الألف من الفتحة قول عنترة في معلقته: يَنْباعُ من ذِفْرَى غضُوبٍ جَسْرَةٍ ... زَيّافَةٍ مِثْلَ الفَنيقِ الْمُكْدَمِ

أراد ينبع، فأشبع فتحة الباء للضرورة الشعرية.

وإما إشباع الياء بعد الكسرة فكقول الفرزدق: تَنْفِي يدَاهَا الحَصَى في كلِّ هَاجِرَةٍ *** نفيَ الدَّرَاهيمِ تَنْقَادُ الصَّيَاريفِ

فزاد الياء في (الصياريف)، لأجل الضرورة الشعرية.

وأما أحرف الإطلاق فهي حروف العلة الزائدة في آخر القافية، كقول الشاعر:

قِفَا نَبْكِ منْ ذكْرَى حَبيبٍ ومنزلِ *** بسقْطِ اللوَى بين الدَّخول فَحَوْمَلِ

فزاد الياء في (منزل) وفي (حومل) (الألوسي، 1341هـ، الصفحات 281–288).

2– الأسباب الدلالية:

يُثقّل العرب كلمة بزيادة حرف فيها من أجل غرض دلالي يسهم في إبراز المعنى، ومن صور ذلك:

2–1– التوكيد: يتحمّل المتكلم المشقّة اللفظية من أجل غرض يتعلق بالمعنى، وهو التوكيد، ومن نماذج ذلك:

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

أ– قول سيبويه: «وممّا يدلّك على أنّه ليس باسمٍ قولُ العرب: أَرَأَيْتَكَ فلاناً ما حالُه، فالتاءُ علامة المضمر المخاطَب المرفوع، ولو لم تُلحِق الكافَ كنتَ مستغنياً كاستغنائك حين كان المخاطَبُ مقبلاً عليك [عن قولك: يا زيدُ]، ولحَاقُ الكاف كقولك: يا زيدُ، لَمْ لو لم تَقُلْ له يا زيدُ استغنيتَ. فإنّما جاءت الكاف في أَرأيتَ والنداءُ في هذا الموضع توكيداً. وما يجيء في الكلام توكيداً لو طُرِحَ كان مُسْتَغنى عنه، كثير » (سيبويه، 2012، صفحة 245/1).

ومعنى كلام سيبويه أنّ الكاف في أريتَكَ يمكن الاستغناء عنها كما يمكن الاستغناء عن نداء زيد الذي هو حاضر أمامك بقولك: يازيد، فالمتكلم تجشّم مشقة الكلام المستغنى عنه من أجل التأكيد للمخاطب شدة العناية به والاهتمام بشأنه، «والكاف ضمير متصل لا محل له ولو جعل له محل لكان المعنى: أرأيت نفسك وهو خلف من القول» (بهجت، 1426 /1427هـــ، صفحة 545/5).

ب– من العرب من يجعلون بين ضميري كاف المخاطب وهاء الغائب ألفاً في التذكير، وياءً في التأنيث، لأن ذلك أشدّ توكيداً في الفصل بين المذكر والمؤنث. فيقولون: أُعْطِيكِيها وأُعْطِيكِيهِ للمؤنث، وتقول في التذكير: أُعطيكَاهُ وأُعْطِيكَاها (سيبويه، 2012، صفحة 200/4).

ج– تكرار الاسم المغرى به أو المحذر منه في الإغراء والتحذير، والإغراء «هو: تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله» (الأنصاري، د ت، صفحة 79/4).والتحذير: «وهو: تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه» (الأنصاري، د ت، صفحة 75/4).

فمثال تكرار الاسم المغرى به قول الشاعر مسكين الدارمي:

أخاك أَخاك إنّ مَنْ لا أخَا له *** كسَاعٍ إلى الهَيْجَا بغَيْرِ سِلاحِ (الدارمي، 2000، صفحة 33)

وتقدير المحذوف: الزَمْ أخاك

ومثال تكرار الاسم المحذر منه قولك: الكهرباءَ الكهرباءَ.

ويعرب الاسم المغرى به أو المحذر منه مفعولا به لفعل محذوف، تقديره: الزم أو احذر، ويعرب الاسم الثاني توكيدا لفظيا.

فالمتكلم–هنا– تحمّل صعوبة التكرار رغم مشقته، من أجل غرض دلالي وهو تأكيد الفعل.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024
Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

د– الإتباع: قال ابن فارس في فقه اللغة هو من سنن العرب. «وذلك أن تَتْبَعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزْنِها ورَوِيِّها، إشباعًا وتوكيدا واتساعا، كقولهم: جائِعٌ نائعٌ، وساغِبٌ لاغِبٌ، وعَطْشانُ نَطْشَانٌ، وصبٌّ ضَبٌّ، وخَرابٌ يَبابٌ. وقد شاركتِ العربُ العَجَمَ في هذا الباب» (الثعالبي، 1420هـ/2000م، صفحة 420).

وقد تكون الكلمتان متفقتين في الرويّ وقد تختلفان، وينقسم الإتباع إلى قسمين:

– أن تكونَ الكلمةُ الثانيةُ ذات معنى

– أن تكونَ الكلمة الثانية غيرَ واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاق.

والغرض من الإتباع –رغم أنه زيادة لفظية فيها ثقل– هو التوكيد المعنوي، ولذلك قال أحد العرب عنه: هو شيءٌ نَتِدُ به كلامنا أي نثبّتُه ونؤكدّه، فالكلمة الثانية مؤكدة للأولى، ولذلك لا تأتي الكلمة الثانية منفردة عن الأولى (السيوطي، د ت، الصفحات 1/414–415).

2–2– التفريق بين المذكر والمؤنث بحرف بدلا من حركة، وقد ذكر سيبويه نموذجين لذلك هما:

أ– ما روى سيبويه عن ناس كثُر من تميم وأسد أنهم يجعلون مكان الكاف – التي هي للمؤنثة المخاطبة–الشين في حالة الوقف، فيقولون للمؤنث: رأيتُش، وعلة ذلك أنهم أرادوا الفصل بين المذكر والمؤنث بالشين بدلا من الكسرة؛ لأن الحرف أقوى من الحركة (سيبويه، 2012، صفحة 4/199).

ب– من المعلوم أن علامة المؤنثة المخاطبة هي الكاف المكسورة، ولكن هذه الكاف تسكن في حالة الوقف، ولإظهار الكسرة الدالة على التأنيث، فإن بعض العرب يُضيفون سينا بعد الكاف في حالة الوقف، فيقولون: أعطيْتُكِسْ، وأُكْرِمُكِسْ ، وهناك عرب آخرون يضيفون بعد الكاف في حالة الوقف شينا، فيقولون: أعطيْتُكِشْ، وأُكْرِمُكِشْ، وبذلك فالسين والشين علامة التأنيث وتركها علامة التذكير (سيبويه، 2012، الصفحات 4/199–200). وتُسمّى زيادة الشين بعد كاف الخطاب المؤنث ب(الكَشْكَشةِ)، وأما إضافة السين بعد كاف الخطاب المؤنث فتسمى ب(الكَسْكَسةِ)، وذكر السيوطي هذين اللغتين من جملة (الرديء المذموم من اللغات)، وتتكلم بهما ربيعة ومضر. (السيوطي، د ت، صفحة 1/221)

الخاتمـــة: الأصل أن المتكلم باللغة العربية يسلك كل السبل التي تجعل كلامه خفيفا، ولكنه ورد في الكلام العربي أساليب نحتْ نحو الثقل، وبعد البحث في أسباب عدول المتكلم عن اللفظ الخفيف إلى اللفظ الثقيل تبين أن بعض الأسباب ترجع إلى اللفظ، وبعضها لإفادة معنى.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024

Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

فالأسباب التي ترجع للفظ هي: المحافظة على القاعدة، وطلب الخفة، والتناسب الصوتي، وصعوبة الحروف الرخوة، وبيان الصوت المهموس، والضرورة الشعرية. وأما الأسباب التي ترجع للدلالة فهي: التوكيد، والتفريق بين المذكر والمؤنث بحرف بدلا من حركة.

المصادر والمراجع:

إبراهيم أنيس. (د ت). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

.Ibrāhīm Anīs. (D t). al-aṣwāt al-lughawīyah. Miṣr : Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah

الاستراباذي. (1402هـ/1982م). شرح شافية ابن الحاجب. لبنان: دار الكتب العلمية.

.al-Astarābādhī. (1402h / 1982m). sharḥ Shāfīyah Ibn al-Ḥājib. Lubnān : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah

الألوسي. (1341هـ). الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر. مصر: المطبعة السلفية.

.al-Alūsī. (1341h). al-ḍarā’ir wa-mā yswgh lil-shā‘ir Dawwin al-nāthir. Miṣr : al-Maṭba‘ah al-Salafīyah

الأنصاري. (د ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. لبنان: منشورات المكتبة العصرية.

.al-Anṣārī. (D t). Awḍaḥ al-masālik ilá Alfīyat Ibn Mālik. Lubnān : Manshūrāt al-Maktabah al-‘Aṣrīyah

بوصبع أحمد. (2022). القيم الصوتية وجمالياتها في الخطاب القرآني. متليلي: دار صبحي.

Būṣab‘ Aḥmad. (2022). al-Qayyim al-ṣawtīyah wjmālyāthā fī al-khiṭāb al-Qur’ānī. mtlyly : Dār Ṣubḥī

الثعالبي، عبدالملك. (1420هـ/2000م). فقه اللغة وأسرار العربية. بيروت: المكتبة العصرية.

al-Tha‘ālibī, ‘bdālmlk. (1420h / 2000M). fiqh al-lughah wa-asrār al-‘Arabīyah. Bayrūt : al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

ابن جني. (1413هـ/1993م). سر صناعة الإعراب. دمشق: دار القلم.

.Ibn Jinnī. (1413h / 1993M). Sirr ṣinā‘at al-i‘rāb. Dimashq : Dār al-Qalam

ابن جني. (د ت). الخصائص. مصر: دار الكتب المصرية.

.Ibn Jinnī. (D t). al-Khaṣā’iṣ. Miṣr : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah

سيبويه. (2012). الكتاب. القاهرة: امكتبة الخانجي.

.Sībawayh. (2012). al-Kitāb. al-Qāhirah : amktbh al-Khānjī

السيرافي. (1429هـ/2008م). شرح كتاب سيبويه. بيروت: دار الكتب العلمية.

.al-Sīrāfī. (H / 2008M). sharḥ Kitāb Sībawayh. Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 38 العدد: 02 السنة: 2024 الصفحة: 79–91 تاريخ النشر: 11–12–2024

Date of Publication : 11-12-2024 pages: 79-91 Year: 2024 N°: 02 Volume: 38

السيوطي. (د ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. القاهرة: مكتبة دار التراث.

.al-Suyūṭī. (D t). al-Muz’hir fī ‘ulūm al-lughah wa-anwā‘hā. al-Qāhirah : Maktabat Dār al-Turāth

الشيخلي، بهجت. (1426 /1427هـ). إعراب القرآن الكريم لغة وإعجازا وبلاغة وتفسيرا بإيجاز. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

al-Shaykhalī, Bahjat. (1426/1427h). i‘rāb al-Qur’ān al-Karīm Lughat w’‘jāzā wa-balāghat wa-tafsīran bi-ījāz. .Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘

عفيفي. (1417هـ/1996م). ظاهرة التخفيف في النحو العربي. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

.‘Afīfī. (1417h / 1996m). Ẓāhirat al-takhfīf fī al-naḥw al-‘Arabī. al-Qāhirah : al-Dār al-Miṣrīyah al-Lubnānīyah

ابن فارس أحمد. (د ت). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر للطباعة والنشر.

.Ibn Fāris Aḥmad. (D t). Mu‘jam Maqāyīs al-lughah. Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr

اللبدي. (1405هـ/1985م). معجم المصطلحات النحوية والصرفية. عمان: دار الفرقان.

.al-Labadī. (1405h / 1985m). Mu‘jam al-muṣṭalaḥāt al-naḥwīyah wa-al-ṣarfīyah. ‘Ammān : Dār al-Furqān

ماريو، باي. (1419هـ/1998م). أسس علم اللغة. القاهرة: عالم الكتب.

.Māryw, Bāy. (1419H / 1998M). Usus ‘ilm al-lughah. al-Qāhirah : ‘Ālam al-Kutub

مجمع اللغة العربية. (1425هـ/2004م). المعجم الوسيط. مصر: مكتبة الشروق الدولية.

Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah. (1425h / 2004m). al-Mu‘jam al-Wasīṭ. Miṣr : Maktabat al-Shurūq al- .Dawlīyah

ابن منظور. (د ت). لسان العرب. بيروت، لبنان: دار صادر.

.Ibn manẓūr. (D t). Lisān al-‘Arab. Bayrūt, Lubnān : Dār Ṣādir